موقف الإمام علي (ع) في معركة أُحد

<"xml encoding="UTF-8?>

مكان المعركة

أُحُد: جبل يبعد عن المدينة المنوّرة ميلين أو ثلاثة بجهة مكّة المكرّمة، حصلت فيه المعركة.

تاريخ المعركة

15 شوال 3هـ، وقيل: 17 شوال 3هـ.

الهدف من المعركة

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «كان سبب غزاة أُحد أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكّة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر؛ لأنّهم قُتل منهم سبعون، وأُسر سبعون، قال أبو سفيان: يا معشر قريش! لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإنّ الدمعة إذا خرجت أذهبت بالحزن والعداوة لمحمّد، فلمّا غزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أُحد، أذنوا لنسائهم بالبكاء والنوح، وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، واخرجوا معهم النساء، فلمّا بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك جمع أصحابه وحثّهم على الجهاد...»(1).

العُدّة والعدد

خرجت قريش بثلاثة آلاف رجل يقودهم أبو سفيان بن حرب، معهم مائتا فرس قد جنبوها، وثلاثة آلاف بعير، وفيهم سبعمائة دارع، والظعن خمس عشرة امرأة، وخرجوا بعدّة وسلاح كثير.

وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) في ألف مقاتل من المسلمين، وفي الطريق انعزل عبد الله بن أُبي بن سلول ومَن معه من أهل النفاق، وهم ثلثمائة رجل، فبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سبعمائة مقاتل، فيهم مائة دارع ومعهم فرسان، فرس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وفرس لأبي بردة بن نبار.

الجيش الإسلامي

عبّأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه وسَوّى الصفوف، وعقد ثلاثة ألوية؛ لواء المهاجرين بيد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر، وقيل بيد سعد بن عبادة.

ثمّ وضع (صلى الله عليه وآله) خمسين رجلاً من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير خلف الجيش على حافّة الجبل، وأوصاهم بالثبات وعدم ترك أماكنهم، وأكّد على ذلك، حتّى روي أنّه (صلى الله عليه وآله) أوصاهم بأن يلزموا مراكزهم ولا يتركوها حتّى في حالة النصر أو الهزيمة.

بدء المعركة

نشبت الحرب بين الجانبين، فصاح طلحة بن أبي طلحة العبدري، وهو صاحب لواء المشركين: يا محمّد، تزعمون أنّكم تجهّزوننا بأسيافكم إلى النار، ونُجهّزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمَن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إليَّ؟

فبرز إليه الإمام علي (عليه السلام)، فبدره بضربة على رأسه فقتله، ثمّ تقدّم بلواء المشركين أخوه، والنساء خلفه يُحرِّضن ويضرِبْن بالدفوف، فتقدّم نحوه حمزة ـ عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) ـ وضربه ضربة واحدة وصلت إلى رئته فمات.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «كان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة، قتلهم علي (عليه السلام) عن آخرهم»(2).

قال الواقدي: «لقد قُتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهم لا يلوون، ونساؤهم يدعين بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح»(3).

انهزام جيش العدو

قال الواقدي: «ولمّا انهزم المشركون تبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا، حتّى أخرجوهم من المعسكر، ووقعوا ينتهبونه ويأخذون ما فيه من الغنائم.

فلمّا رآهم الرماة قال بعضهم لبعض: لمَ تقيمون ها هنا في غير شيء، قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا معهم.

فقال بعضهم: ألم تعلموا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لكم: احمُوا ظُهُورَنا، وإنْ غَنِمْنا فلا تشرِكُونا؟ فقال الآخرون: لم يرد رسول الله هذا»(4).

هجوم خالد بن الوليد على الجيش الإسلامي

ذهب الرماة الذين أوصاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدم ترك أماكنهم إلى معسكر المشركين يجمعون الغنائم، وتركوا أماكنهم على الجبل، ولمّا نظر خالد بن الوليد إلى خلوّ أماكنهم كرّ بالخيل إلى موضع الرماة، وحمل عليهم، فانهزم الناس وفرّوا.

في قلب المعركة

عندما وجد المشركون خيلهم تُقاتل رجعوا من هزيمتهم، وكرُّوا على المسلمين من أمامهم وهم مشغولون بجمع الغنائم، فأصبح المسلمون وسط الحلقة، وانتقضت سيوفهم، وأخذ يضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهشة!!

فتفرّق أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) عنه، وأخذ المشركون يحملون عليه يريدون قتله.

وعن زيد بن وهب قال: «قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى لم يبق معه إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف؟

قال: انهزم الناس إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحده، وثاب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفر، وكان أوّلهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف، ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت له: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممّن تنحّى، قال: وأين عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لقد ذهبت فيها عريضة)؟(5).

وقال ابن الأثير: «وقاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أُحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتّى فني نبله، وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره»(6).

قال أبو سعيد الخدري: «لمّا كان يوم أُحد شُجّ النبي (صلى الله عليه وآله) في وجهه، وكُسرت رباعيته، فقام (عليه السلام) رافعاً يديه يقول: إنّ الله اشتدّ غضبه على اليهود أن قالوا: عُزير بن الله، واشتدّ غضبه على النصارى أن قالوا: المسيح بن الله، وإنّ الله اشتدّ غضبه على مَن أراق دمي وآذاني في عترتي»(7).

منقبة للإمام علي (عليه السلام)

عن أبي رافع قال: «لمّا كان يوم أُحد نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى نفر من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم فقتل هاشم بن أُمية المخزومي وفرّق جماعتهم فقتل فلاناً الجمحي، ثمّ نظر (صلى الله عليه وآله) إلى نفرٍ من قريش، فقال لعلي: احمل، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل فلاناً الجمحي، ثمّ نظر إلى نفر من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل أحد بني عامر بن لؤي، فقال له جبرائيل (عليه السلام): إنّ هذه المواساة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّه منّي وأنا منه، فقال له جبرئيل: وأنا منكم يا رسول الله»(8).

شهادة حمزة (رضي الله عنه)

كانت هند بنت عتبة ـ زوجة أبي سفيان ـ قد أعطت وحشيّاً عهداً لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة، لأعطينّك كذا وكذا.

فقال وحشي: أمّا محمّد فلم أقدر عليه، وأمّا علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس بسيفه، ما يلقي أحداً يمرُّ به إلّا قتله، فهززت حربتي فرميتُه، فوقعت في أربيته ـ أصل الفخذ ـ، حتّى خرجت من بين رجليه فوقع، فأمهلته حتّى مات، وأخذت حربتي وانهزمت من المعسكر(9).

وروي أنّ هند وقعت على القتلى، ولمّا وصلت إلى حمزة بقرت كبده فلاكته، فلم تستطع أن تسيغه فلفِظَته، ثمّ قطعت أنفه وأُذنيه، وجعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها.

وبعد انتهاء المعركة، أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمّه حمزة وقد مُثّل به، فقال (صلى الله عليه وآله): «ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليَّ من هذا الموقف»(10)، ثمّ وضعه إلى القبلة وصلّى عليه وبكى.

وكان (صلى الله عليه وآله) يقول: «يا عمّ رسول الله، وأسد الله، وأسد رسول الله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات، يا حمزة، يا كاشف الكربات، يا حمزة، يا ذابّ يا مانع عن وجه رسول الله»(11).

قال ابن الأثير: «ومرّ (صلى الله عليه وآله) بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح، فذرفت عيناه بالبكاء، وقال: لكن حمزة لا بواكي له، فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة»(12).

بعد المعركة

بعد انصراف جيش المشركين بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام علي (عليه السلام) وقال له: «أُخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنّهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فهم يُريدون المدينة، فوالله لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثمّ لأُناجزنّهم».

فقال الإمام علي (عليه السلام): «فخرجتُ في آثارهم، فرأيتهم امتطوا الإبل واجتنبوا الخيل»(13).

شهداء المسلمين

لقد سقط سبعون شهيداً في المعركة، منهم: حمزة بن عبد المطّلب، عبد الله بن جحش، مصعب بن عمير، شماس بن عثمان، وهؤلاء الأربعة هم الشهداء من المهاجرين.

وعمرو بن معاذ بن النعمان، الحارث بن أنس بن رافع، عمارة بن زياد بن السكن، سلمة بن ثابت بن وقش، عمرو بن ثابت بن وقش، ثابت بن وقش، حنظلة بن أبي عامر ـ وهو غسيل الملائكة ـ، عبد الله بن جبير بن النعمان ـ وهو أمير الرماة ـ، أوس بن ثابت بن المنذر أخو حسّان بن ثابت، أنس بن النضر ـ عمّ أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سهل بن قيس بن أبي كعب.

الرجوع إلى المدينة

بعد أن عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه إلى المدينة، استقبلته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعها إناء فيه ماء، فغسل وجهه، ولحقه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد خضّب الدم يده إلى كتفه، ومعه سيفه ذو الفقار، فناوله فاطمة وقال (عليه السلام) لها: «خُذي هذا السيف، فقد صدّقني».

وقال لها الرسول (صلى الله عليه وآله): «خُذيه يا فاطمة، فقد أدّى بَعلُك ما عليه، وقد قتل اللهُ بسيفه صناديد قُريش»(14).

الهوامش

1ـ تفسير مجمع البيان 2 /376.

2ـ الإرشاد 1 /88.

3ـ شرح نهج البلاغة 14 /239.

4ـ أعيان الشيعة 1 /257.

5ـ الإرشاد 1 /83.

6ـ الكامل في التاريخ 2 /157.

7ـ الأمالي للطوسي: 142.

8ـ تاريخ مدينة دمشق 42 /76.

9ـ أُنظر: أعيان الشيعة 1 /257.

10ـ شرح نهج البلاغة 15 /16.

11ـ السيرة الحلبية 2 /534.

12ـ الكامل في التاريخ 2 /163.

13ـ أعيان الشيعة 1 /258.

14ـ الإرشاد 1 /90.